بواعث التحول الديني في الأحساء وحوادث الإلحاد من وجهة نظر ثقافية"

"بواعث التحول الديني في الأحساء وحوادث الإلحاد من وجهة نظر ثقافية"

قبل سنتين كنت في حوار مع مجموعة من المهتمين بالشأن الديني وكان الحديث وقتها عن التحديات التي تواجه المد الإسلامي، وكانوا يشيرون بأصابع الاتهام إلى الحركات الدينية المتطرفة، أو الممارسات الشعائرية المحدثة كالتطبير وسفرة أم البنين... ، ثم تم سؤالي عن رأيي في ذلك، وكان جوابي أن الوقت قد تأخر كثيراً أمام محاولات الإصلاح وفق المنظور الفقهي التقليدي وكذلك لعدم إفساح المجال لعلم الكلام الجديد حتى يعالج قضايا مثلت شواغل ثقافية لجيل جديد انفتح على العالم وأصبح يناقش قضايا مثل حقوق الأنسان (مقابل حقوق ا)، وميراث المرأة والشر المقدس "الثيوديسيا" كمعنى جديد للقضاء والقدر، وكذلك المواطنة والموقف من الآخر المختلف وحرية الاعتقاد... إلى غير ذلك من قضايا كان علم الكلام الجديد وعلى أيدي سروش ومالكيان وشبستري الذين حاولوا تناول تلك القضايا بشيء من التوفيقية بين المنجز الفكري الإنساني كالفلسفة الغربية الحديثة، ورؤية الفيلسوف الباكستاني محمد إقبال في "الخاتمية" وتطور العقل البشري واكتماله بعد رسالة النبي الخاتم (ص) وعدم الحاجة إلى التقيد بحرفية النصوص بل الإنطلاق منها إلى ما سوف يصل إليه الفكر البشري من فتوحات معرفية. فعدم تبني علم الكلام الجديد في خطابنا الديني دفع هذا الجيل إلى التوجه إلى الثقافة العالمية والفلسفات الحديثة ينهلون منها رؤاها في تلك المواضيع والتي في النهاية تقودهم إلى تبني الطرح الا ديني وعدم الإلتفات إلى المقولات الدينية في ثوبها القديم.

أعلم جيداً أن هناك من سوف يكابر ويلقي بالمسؤولية على الغرب والصهيونية والإمبريالية وغيرها من شماعات التعليق ومكبات النفايات المتخيلة، لكن بكل بساطة فإن ما جرى هنا كان له شبيه في الغرب نفسه. فعندما كان الحوار في القرن السادس عشر يدور في الكنيسة وبين المثقفين الدينيين عن عدد أجنحة الملائكة، كان مارتن لوثر وكالفان منشغلين بقضايا الإصلاح الديني والذي تطور فيما بعد إلى مزيج من التدين الطبيعي (استشعار ما في الطبيعة من رؤى واستبطان ذلك كتجربة دينية وتصوف، وليس

الشعور با ذاته) وذلك لجمود الكنيسة عن الإستمرار في تلك المشاريع الإصلاحية.

أما إذا ذهبنا إلى علم الإجتماع الديني لتفسير الظاهرة فنجد أننا لم نبدأ حتى الآن في الشروع بتبني هذا العلم، ولكن بإمكاننا القياس على إحدى نتائجه حيث وصل الباحثان باتشي وأكوافيفا في كتابهما "علم الاجتماع الديني"، إلى نتيجة واضحة بالنسبة إليهما، حيث يتناقص التدين ويزداد التحول إلى العلمانية وذلك بفضل الثورات الصناعية والاقتصادية. ففي إيطاليا مثلاً كان ٩٩٪ من مجموع المجتمع الايطالي يمارسون الطقوس الدينية في القرن الثامن عشر، وبعد نصف قرن أنخفضت النسبة إلى ٧٠٪. وحتى عام ١٩٥٦ لم تتغير النسبة إلا بشكل طفيف حيث بلغت ٦٩٪، لكن الانهيار الكبير حدث في عام ١٩٨٥ والذي انحدرت فيه النسبة إلى ٣٣,٥٪ وهو العام الذي انهارت فيه الأخلاق الدينية التقليدية ونمت أخلاق علمانية وكان أبرزها ظاهرة التحرر الجنسي، وكان السبب الرئيسي الملحوظ حينها هو الثورة الاقتصادية. فمع الثورة الاقتصادية تغير تقريبا كل شيء: شكل المحبة، والتواصل في المجتمع، نمط صياغة العلاقات، نمط التعايش، إضفاء معنى أو إلغاؤه على الحياة أو على الموت، وكذلك حدث تجاوز على الدين الشعبي السائد والدين التقليدي والذي يتميز بطابعه السحري وامتزاج العنصر المسيحي بالعنصر الوثني!!

هذا ما حدث بالضبط في الغرب، فهل ننتظر نحن إلى أن تصل نسبة التدين لدينا كما يشبهها في إيطاليا؟

الجواب متروك إلى النخب الدينية والثقافية. وتقبلوا فائق مودتي،، كاظم الخليفة

وكذلك المواطنة والموقف من الآخر المختلف وحرية الاعتقاد... إلى غير ذلك من قضايا كان علم الكلام الجديد وعلى أيدي سروش ومالكيان وشبستري الذين حاولوا تناول تلك القضايا بشيء من التوفيقية بين المنجز الفكري الإنساني كالفلسفة الغربية الحديثة، ورؤية الفيلسوف الباكستاني محمد إقبال في "الخاتمية" وتطور العقل البشري واكتماله بعد رسالة النبي الخاتم (ص) وعدم الحاجة إلى التقيد بحرفية النصوص بل الإنطلاق منها إلى ما سوف يصل إليه الفكر البشري من فتوحات معرفية. فعدم تبني علم الكلام الجديد في خطابنا الديني دفع هذا الجيل إلى التوجه إلى الثقافة العالمية والفلسفات الحديثة ينهلون منها رؤاها في تلك المواضيع والتي في النهاية تقودهم إلى تبني الطرح الا ديني وعدم الإلتفات إلى المقولات الدينية في ثوبها القديم.

أعلم جيداً أن هناك من سوف يكابر ويلقي بالمسؤولية على الغرب والصهيونية والإمبريالية وغيرها من شماعات التعليق ومكبات النفايات المتخيلة، لكن بكل بساطة فإن ما جرى هنا كان له شبيه في الغرب نفسه. فعندما كان الحوار في القرن السادس عشر يدور في الكنيسة وبين المثقفين الدينيين عن عدد أجنحة الملائكة، كان مارتن لوثر وكالڤان منشغلين بقضايا الإصلاح الديني والذي تطور فيما بعد إلى مزيج من التدين الطبيعي (استشعار ما في الطبيعة من رؤى واستبطان ذلك كتجربة دينية وتصوف، وليس الشعور با ذاته) وذلك لجمود الكنيسة عن الإستمرار في تلك المشاريع الإصلاحية.

أما إذا ذهبنا إلى علم الإجتماع الديني لتفسير الظاهرة فنجد أننا لم نبدأ حتى الآن في الشروع بتبني هذا العلم، ولكن بإمكاننا القياس على إحدى نتائجه حيث وصل الباحثان باتشي وأكوافيفا في كتابهما "علم الاجتماع الديني"، إلى نتيجة واضحة بالنسبة إليهما، حيث يتناقص التدين ويزداد التحول إلى العلمانية وذلك بفضل الثورات الصناعية والاقتصادية. ففي إيطاليا مثلاً كان ٩٩٪ من مجموع المجتمع الايطالي يمارسون الطقوس الدينية في القرن الثامن عشر، وبعد نصف قرن أنخفضت النسبة إلى ٧٠٪. وحتى عام ١٩٥٦ لم تتغير النسبة إلا بشكل طفيف حيث بلغت ٦٩٪، لكن الانهيار الكبير حدث في عام ١٩٨٥ والذي انحدرت فيه النسبة إلى ٣٣,٥٪ وهو العام الذي انهارت فيه الأخلاق الدينية التقليدية ونمت أخلاق علمانية وكان أبرزها ظاهرة التحرر الجنسي، وكان السبب الرئيسي الملحوظ حينها هو الثورة الاقتصادية. فمع الثورة الاقتصادية تغير تقريبا كل شيء: شكل المحبة، والتواصل في المجتمع، نمط صياغة العلاقات، نمط التعايش، إضفاء معنى أو إلغاؤه على الحياة أو على الموت، وكذلك حدث تجاوز على الدين الشعبي السائد والدين التقليدي والذي يتميز بطابعه السحري وامتزاج العنصر المسيحي بالعنصر الوثني!!

هذا ما حدث بالضبط في الغرب، فهل ننتظر نحن إلى أن تصل نسبة التدين لدينا كما يشبهها في إيطاليا؟

الجواب متروك إلى النخب الدينية والثقافية.